السنة الثالثة عشرة من مولده ﷺ

فيها خرج أبو طالب برسول الله ﷺ إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل: عشرون سنة، والأول أصح، فنزل الركبُ ببُصرى، وبها راهب يقال له: بَحِيرَى في صومعة له، وكان ذا علم بالنصرانية، [ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ـ فيما يزعمون ـ يتوارثونه كابراً عن كابر][(١)]، وكان كثيراً ما يمرُّ به الركب فلا يُكلِّمُهم حتى إذا كان في ذلك العام نزلوا مَنْزِلاً قريباً من الصومعة كانوا ينزلونه، فصنع لهم طعاماً ودعاهم إليه، وإنما حمله على ذلك، أنهم حين طلعوا رأى غمامة تُظِلُّ رسول الله ﷺ دون القوم، ولمَّا نزلوا نزلوا تحت ظلِّ شجرة، فنظر إلى الغمامةِ قد أظلت تلك الشجرةَ فاخضلَّت أغصانها على رسول الله ﷺ دون القوم، ولما رأى ذلك بَحِيرى نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام، فحضر وأرسل إلى القوم يقول: يا معاشر قريش، أحب أن تحضروا طعامي ولا يتخلف منكم صغير ولا كبير، ولا حُرٌّ ولا عبد، فإن هذا شيء تكرموني به. فقال رجل منهم: إن لك لشأناً يا بَحِيرى، ما كنت تصنع بنا قبل هذا اليوم مثل هذا؟ فقال: إني أحب أن أكرمكم فلكم حق، فاجتمعوا، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لِصِغَرِ سنِّه، فنظر بَحِيرى إلى الغمامة فلم يرها على رأس أحد من القوم وهي على رأس رسول الله ﷺ، فقال: ألم أقل لا يتخلَّفَنَّ أحد عن طعامي؟ فقالوا: ما تخلف أحد إلا غلام صغير وهو أوسطنا نسباً، وهو ابن أخي هذا الرجل ـ يعنون أبا طالب ـ، فقال أبو طالب[(٢)]: والله إنه لَلُؤمٌ أن يتخلف عنا محمد. فقام الحارث فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه بين القوم، والغمامة على رأسه وبَحِيْرى يلاحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى جسده فيجد ما يجد عنده من الصفة، فلما تفرقوا قام إليه الراهب، فقال: يا غلام، أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضتُ شيئاً كبِغْضَتي لها، قال: فبالله أخبرني، قال: سلني؟ فسأله عن أشياء حتى عن نومه والنبي ﷺ يخبره، فوافق ما عنده. فكشف عن ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، فقبَّله. وجعلت قريش

---

(١) جاء في النسخ: «وكان ذا علم بالنصرانية صاغراً عن كابر، وفيها كتب يدرسونها» والمثبت من «سيرة ابن هشام» ١/ ١٦٥، والمنتظم ٢/ ٢٩٢، وانظر طبقات ابن سعد ١/ ١٢٨.

(٢) في «سيرة ابن هشام» أن القائل رجل من قريش، وعند ابن سعد أنه: الحارث بن عبد المطلب.

تقول: إن لمحمداً عند هذا الراهب قَدْراً، وجعل أبو طالب يخاف عليه من الراهب، فقال بَحِيْرَى لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال: ما هو ابنك، وما ينبغي أن يكون أبوه حيًّا، قال: فإنه ابن أخي، قال: ما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حامل به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: هلكت قريباً، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من اليهود. والله لئن عرفوا منه ما أَعرفُ ليَبْغُنَّه عَنَتاً[1]، وإنه كائن لابن أَخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، ونرويه عن أكابرنا. فلما فرغوا من التجارة عاد به أبو طالبٍ سريعاً إلى مكة.

وكانت رجال من اليهودِ قد رأوا رسول الله ﷺ، وعرفوا صفته في التوراةِ فأرادوا أَن يغتالوه، فذكروا ذلك لبَحِيرى فنهاهم عنه أَشدَّ النَّهي وقال: قد وجدتم صِفَتَه في التوراة، وأنه كائن لا محالةَ فلا سبيل لكم عليه، فتركوه، فما خرج به بعدها في سَفَرٍ خَوفاً عليه[2].

* * *

السنة الرابعة عشرة من مولده ﷺ

فيها تحرّكت قيس لحربِ قريش، فخرج إليها عبدالله بن جُدعان وشِيخان قريش، فذكَّروهم الله فرجعوا[3].

* * *

السنة الخامسة عشرة من مولده ﷺ

فيها رُوي أن النبي ﷺ رأى قُس بن ساعدة الإيادي في سوقِ عكاظ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قدم وَفْدُ عبد قيس على رسول الله ﷺ فقال لهم: «ما فَعَل قُسٌّ»؟ قالوا: هلك. قال: «ما أَنْسَاه على جملٍ أَوْرقَ يَخطُبُ بسوقِ عُكاظٍ ويَقُول: أيُّها

(١) في (خ): «والله لئن عرفوا منه ما أعرف لتبعته حيث كان وقتلوه».

(٢) انظر «سيرة» ابن هشام ١/ ١٦٥، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٢٨، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٦، و«المنتظم» ٢/ ٢٩٢.

(٣) هو حرب الفجار الأخير وقد تقدم ذكره قريباً، انظر «المنتظم» ٢/ ٢٩٦.